

شبهات

شبهات العلم

ثعبان البحر

البحر . ويبلغ طول هذه الأسماك ستة أمتار ، وهي تشبه الشريط ولها القدرة على تخزين الهواء في عضلاتها وعظامها كما أن جلدها قابل للتدد . وعند ظهورها على سطح الماء لا يبين منها إلا رأسها وجزء من زعنفة الذنب ، فهي في هذه الحالة أشبه ما تكون بالثعابين ، وقلما تقع في الشباك سليمة ، لأن جسمها الطويل الرفيع يشتم بعضه عند ما يمسك الصياد السمكة ، وذلك لتصلبها نتيجة لتمدد الجسم بما فيه من هواء . وتستطيع هذه السمكة الخروج إلى البر والمكث فيه بضع ساعات . والواقع أن ثعبان البحر موجود فيه ، وأن ما عثر عليه حتى الآن لا يزيد طوله على أربعة أمتار . وهذه الثعابين توجد عادة في جماعات كبيرة ، وقد تسير في خط مستقيم ، حتى إذا مارأتها البحارة حسبها ثعبانا واحداً له هذا الطول الذي زعموه ، ولهذا الثعابين رئات كبيرة فيملؤها الثعبان بالهواء ويسد أنفه وينام على سطح الماء وقتاً طويلاً ، حتى إذا أحس بمفاجأة أفرغ الهواء من رئتيه وثقل جسمه وهبط إلى القاع . وهو يستطيع المكث طويلاً تحت الماء ؛ لأنه يتنفس الهواء الذائب فيه بواسطة الشبكة الدموية الموجودة في اللثة . وبما لا شك فيه أن هذه الثعابين كانت بريّة ، ويدلنا على ذلك وجود الصفائح البطنية في بعض الأنواع التي لا تزال تصعد إلى اليابس وتزحف عليه .

عاش القدماء في جو الأساطير ، وكان هذا هو العلم وقت ذاك ، إلى أن جاءت البحوث العلمية الحديثة ، فظهرت بعضها من الشواثب وقضت على البعض الآخر ، وخلفتها بعد ذلك للأدب . ولما كان العلم كرمما لا يهاجم ، فقد أبقي على أسطورة ثعبان البحر ، التي شغلت أذهان المفكرين وما زالت محل عنايتهم ، حتى تنتهي بحوثهم الحديثة منها . ولقد لعب الخيال دوراً كبيراً مع ثعبان البحر ، فكثرت حوله خرافات لا يستسيغها عقل ولا يهضمها منطق ؛ فقد روى بعضهم أنه رأى ثعباناً من هذه الزواحف طوله مائة قدم وله رأس في حجم البرميل . ومما يقيم دليلاً على عدم صدق هذه الرواية أن ثعبان البحر على هذا النحو من المبالغة في الطول لم يعثر عليه حتى الآن ؛ لأن الزواحف البحرية العظيمة قد انقرضت منذ أمد بعيد لم يشهده إنسان . ومن العجيب أن هذه الخرافات ما زالت تحتل مكاناً لا تقا في أدمغة البحارة ، ولم يتعرض لها العلم بشيء من التكديب مادام البحث وراء هذا الثعبان جارياً . ونستطيع أن نقرر أن روايات هؤلاء البحارة نشأت من وثوبتهم بعض الأسماك الطويلة التي تظهر عادة فوق سطح الماء مثل السمكة المجدافية والشريطية . ونظراً لندرة هذه الأسماك فقد اعتبرت من أسماك القاع رغم بهاء ألوانها ؛ قد عثر الشعراء بوصفها ونعتوها بلؤلؤة

كذلك للانسان ، فقد حدث أن بحارة إحدى السفن أمسكوا واحدا منها وراحوا يلهمون به ، فلدغ أحدهم في سبابته فلم يهتم بهذا الحادث لأنه سمع من أحد الوطنيين في بوغاز ملقا أن تلك الثعابين لا تضر أحدا وأنها ليست سامة ، وبعد نصف ساعة على الحادث تناول البحار فطوره وغير ملابسه وصعد على ظهر السفينة يمزح ويمزح ولم يشعر بأي تغيير على صحته . وبعد ساعتين سقط مغشياً عليه وضعف نبضه واتسعت حدقاته وتصبب جسمه عرقا باردا ، وبدا وجهه كأنما حل به خوف ، وأصيبت القصبة الهوائية بشلل تعذر معه التنفس إلى حد كبير ، وتورم مكان المرح وما يورده ، وعم الورم الذراع حتى الرقبة وتلون الوجه بلون أرجواني قائم . وحاول طبيب الباخرة محاولات عدة مخففة في إعطائه أدوية ، ولكن المريض استطاع أن يتناول شيئا منها بعد حمام ساخن ، ثم لفظ هذه الأدوية على شكل سائل داكن لزج . وبعد عشرين دقيقة اعترت جسمه هزات عنيفة ، وعم الاحتقان البطن كله ، وأصبح التنفس شافا ، وأرغى القم وفقد المريض وعيه تماما ، وقضى نحبه ولم يمض على الحادث أربع ساعات .

وتعود إلى البحر بريشته فهو ما يزال يعمل في هذه الزواحف الخطرة ، فضمرت منها الصفائح البطنية ، وانمحت في أنواع كثيرة من هذه الثعابين ، وتفرطح منها لذب وأصبح كالزعنفة ليساعدها على العوم ، حتى أصبحت لا تستطيع العيش على اليابس فتموت بعد مدة ليست بالقصيرة إذا خرجت منه ، كما هو الحال في الحوت أو القيطس . وكثيرا ما يقذف البحر بعد هباجه بالآلاف من هذه المخلوقات السامة إلى الشاطئ ، فتموت هذه الثعابين وترتاح أحياء البحر من شرورها . وقد يساعدها الحظ فيأتيها الموج ، وتأخذها مرة أخرى إلى البحر بعد أن يتعذر عليها الزحف فوق الرمال . . .

وتلد هذه الثعابين صفارها في الماء . ولهذه الصفار القدرة على العيش بمفردها . ولو أن الأم تعتني بها فترة من الزمن ونحماها . وهذه الثعابين ليلية أي أنها تندس في الشقوق نهارا حتى إذا ما غربت الشمس خرجت تبعث الرعب بين ساكني البحر وعماره . وهي كغيرها من الثعابين البرية كالناشر والبخاخ تقتل الفريسة بسهما وتبتلعها من رأسها ، وبذلك تستطيع أن تأمن أشواك الزعانف . وسم هذه الثعابين قاتل

صبي فوج نين الربيع